﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١﴾ [الفرقان: 31]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تسليَةُ اللهِ لنبيّه محمّدٍ ﷺ، ووعدُه بالهداية والكفاية والنّصرة

لَمّا كان من شأن الآية السّابقة أنّ الرَّسول الكريم ﷺ شكا قومه إلى ربّه بقوله: ﴿إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾؛ تعبيرًا عن حُزنه وألمِه من إعراض قومه عنِ القرآن الكريم وهِجرانِه - جاءت هذه الآيةُ تسليةً وتعزيةً لحبيبه المصطفى ﷺ، في إشارة إلى أنّه ليس وحدَه في مواجهة أعدائه، فأمرَه بالصّبر على ذلك، ووعدَه ورجّاه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿جَعَلْنَا﴾: (جعل): لفظ عامٌّ في الأفعال كُلِّها، وهو أعمُّ من فَعَلَ، وصَنَعَ، وسائرِ أخواتها، وهو يأتي لمعانٍ؛ منها: جَعَلَ الشَّيْء جعلًا: وضَعَهُ وقدَّره، وجَعَلَ بَعْضَه فوقَ بعضٍ: أَلْقاهُ، وجَعَلَ القَبيحَ حَسَنًا: صَيَّرَهُ، وجَعَلَ البَصْرَةَ بَغْدادَ: ظَنَّها إيّاها، وجَعَلَ لَهُ كذا على كذا: شارَطَهُ به عليه[2]، والمقصودُ بالجَعْل في الآية: التَّهْيِئَةُ والتَّمكينُ.

2) ﴿عَدُوّٗا﴾: (عدو) أَصْلٌ واحِدٌ صَحيحٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ الفُروعُ كُلُّها، وهوَ يَدُلُّ على تَجاوُزٍ في الشَّيْءِ وتَقَدُّمٍ لِما يَنْبَغي أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَيْهِ[3]، العَدوُّ: خِلافُ الصَّديقِ، وهو المُبْغِضُ، مُشْتَقٌّ مِنْ عَدا عَلَيْهِ يَعْدو، بِمَعْنَى وثَبَ؛ لِأَنَّ المُبْغِضَ يَثِبُ على المَبْغوضِ لِيَنْتَقِمَ مِنْهُ، ووَزْنُهُ فعولٌ[4]، والعَداوَةُ: إِرادَةُ السّوءِ لِمَن تُبْغِضُهُ وتَكْرَهُهُ، والعُدْوانُ: الظُّلْمُ، يُقال: عَدا فُلانٌ على فُلانٍ، يَعْدو عليه، عَدْوًا: إذا ظَلَمَهُ،

(1) ابن باديس، مجالس التّذكير، ص: 249.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جعل).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عدو).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 620.

والرَّجُلُ العادي: الظالمُ[1]، والمُرادُ بالعَدوِّ في الآيةِ: المُبْغِضُ، وهو اسمٌ يقعُ على المُفردِ والجَمعِ، والمُرادُ هنا الجَمعُ[2].

3) ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: (جرم) الجُرْمُ والجَريمَةُ: الذَّنْبُ والإِثْمُ، والإِجرامُ: إلصاقُ الجَريمَةِ بالغَيْرِ، ويأْتي بمعنى الاعْتِداءِ والظُّلْمِ، فيُقال: أَجْرَمَ في حَقِّ أَخيهِ، أيْ: ظَلَمَهُ واعْتَدَى عليه، والمُجْرِمُ في اصْطِلاحِ القُرْآنِ هوَ الكافِرُ، كَقَوْلِهِ تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المطففين: 29][3]، والمقصودُ بالإجرام في الآية: الكُفر، والمُراد بالمجرمين: الكُفّارُ مِن أقوامِ الأنبياء يُعارضونَهم ويُؤذونَهم.

4) ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾: (كفا) أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على الحَسْبِ الَّذي لا مُسْتَزادَ فيه، يُقالُ: كَفاكَ الشَّيءُ يَكفيكَ، وقد كَفَى كِفايةً، إذا قامَ بالأَمرِ[4]، واستكفيتُه أَمرًا فكفانيْه، وكفاكَ هذا، أي: حَسْبُكَ[5]، والكُفْيَةُ: القوتُ الكافي، والجَمعُ كُفًى[6]، والمراد بكفاية اللّه تعالى في الآية: التَّعريضُ بتفويض الأمر له تعالى، فإنَّهُ كافٍ في الهدايةِ والنَّصرِ.

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

ما مِن حقٍّ إلّا ويقابلُه باطلٌ، وما مِن مُصلحٍ صادقٍ إلّا وله أعداء

معنى قولِه تعالى: وكما جعَلْنا لكَ يا محمَّدُ ﷺ أعداءً مِن مُشركي قومِك، كذلك جعَلْنا لكُلِّ الأنبياءِ أعداءً مِنَ الكُفّارِ المُشركين مِن أقوامِهم، يُعارِضونَهم ويُؤذونَهم؛ فاصبِرْ كما صبَر أولئك الرسُلُ مِن قَبْلِك، وكفى بربِّك هاديًا يَهديك إلى الحَقِّ وإلى مصالحِ الدّينِ والدُّنيا، وناصِرًا لك على أعدائِك، يدفَعُ عنك كُلَّ مَكروهٍ في أمرِ

(1) الخليل العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، والمناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 238.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 18.
(3) الرّاغب، المفردات، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (جرم).
(4) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (كفى).
(5) الخليل، العين: (كفى).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كفى).

الدّينِ والدُّنيا؛ فلا تُبالِ بمَن عاداك، واصبِرْ وامضِ لتبليغِ رِسالةِ اللّه إليهم، مُتوكِّلًا عليه سبحانه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنَى الواو ودلالتُها في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ دالّةٌ على العطف؛ لأنّها مقتضيةٌ الموافقةَ على ثبوت ما قبلَها، ولا شكّ أنّ اتّخاذهمُ القرآنَ مهجورًا أمرٌ ثابتٌ صحيح[2]، ويجوز أن تكون استئنافيّةً[3]، فإنّ هذه الآية وإن كانت متعلّقةً بما قبلها من جهة أنّها تسليةٌ للرّسول ﷺ، فهي جملةٌ مستأنَفة[4]، فإنّ اللّه تعالى جعلَ لكلّ نبيّ عدوًّا منَ المجرمين، ثمّ يُؤكّدُ سبحانه على كفاية نبيِّه وهدايتِه ونُصرتِه.

عـطـفٌ عـلى ما ثبتَ مِن هجرِهم للقرآن

بلاغةُ التّعبيرِ بالتّشبيه، وغرضُه:

في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا﴾ وردت لفظة (كذلك) المشتملة على الكاف واسم الإشارة، وهو تركيبٌ شائع في الكتاب الحكيم، ولَمّا كانتِ الكاف يغلب عليها أنّها للتّشبيه[5]، فإنّ التّعبير بـ(كذلك) مشتمل على التّشبيه من غير حصر المعنى بالتّشبيه؛ فإنّها قد تكون للتّشبيه حقًّا، وقد تأتي بمعنى (مثل)، وتأتي لتحقيق المعنى وتثبيتِه من غير نظر للتّشبيه، وهذا المعنى الأخير هو الوارد في الآية، فـ(كذلك) تُفيد التّحقيقَ وتأكيدَ الجُملةِ[6]، فيكونُ المعنى في هذه الآية: (كما واجهتَ يا محمّدُ ﷺ أعداءً من مشركي قومك،

وجـودُ أعـداءٍ للأنبياء سُنَّةٌ إلهيَّةٌ ثابتة؛ لتعزيزِ معاني الصّبر والثّبات

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 445، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 209، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 28.

(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 233.

(3) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 14.

(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 5/ 159.

(5) سيبويه، الكتاب: 2/ 171.

(6) أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص: 163 - 166.

واجهَ كلُّ نبيٍّ من قبلك أعداءً من مُشركي قومِه، فلم تُمَيَّز أنتَ عنهم بهذا الابتلاء)[1]، فوجودُ الأعداءِ في كلّ زمان بُعث فيه نبيٌّ، أو أُرسل فيه رسولٌ، هو تجسيدٌ لسُنّةٍ إلهيّةٍ ثابتة، ولو جُعلتِ الكاف الدّاخلةُ على الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ للتّشبيه، فإنّ ذلك حاصلٌ لقصد المبالغة في تشبيه جَعْلِ الله تعالى لكلّ نبيّ عدوًّا منَ المُجرمين؛ مبالغةً بإيهام عدمِ وجودِ المَثيل، فالمبالغةُ تَتَحَقَّقُ بإيهام أنّ المُشَبَّه لو أراد أن يُشَبِّهَ هذا الأمرَ في غرابته، لَما وجدَ له إلّا أن يُشَبِّهه بنفسه[2].

غرضُ التّعبير باسم الإشارة البعيد (ذلك):

تعظيمُ المُشار إليه، لمُضيّ سُنّةِ اللهِ بجعل الأعداء للأنبياء

التّعبير باسم الإشارة (ذلك) للبعيد، باشتماله على (ذا) واللّام والكاف[3] في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾، فيه تنبيهٌ على تعظيم المُشار إليه لبَداعته[4]؛ لأنه أمرٌ بديع لم يُسبق إليه، وذلك أنّ الأنبياء جاؤوا لهداية النّاس، وكان منَ الطّبعيّ أن يُؤيّدَهمُ النّاسُ وينصروهم، لكنّ اللّهَ تعالى شاء أن يجعلَهم مُختبَرين بالأعداء ومكابدتهم؛ ليُظهرَ صبرَهم وثباتَهم وإيمانَهم.

دلالةُ التّعبيرِ بالفعل (جعل)، وإسنادُه لضمير العظمة:

بيّنَ اللهُ وأوضحَ لكلّ نبيّ مَن هُم أعداؤه

التّعبير بفعل الجَعْل في قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾، مُؤذِنٌ بمعنى التّبيين والإيضاح، فالحقّ ﷻ قد بيّنَ وأوضحَ أنّ أعداء الأنبياء هم أعداؤه، ولا يُرادُ بفعل الجَعْل ذواتُ أعداءِ الأنبياء، إنّما المُرادُ خَلقُ العَداوةِ، وخَلْقُ أسبابِها في نفوس أعداء الأنبياء[5]،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 265.
(2) المنتجب الهمذانيّ، الكتاب الفريد: 5/ 19.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/ 15.
(4) ابن يعيش، شرح المفصّل: 2/ 365.
(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 15.

وقد أُسنِدَ فِعلُ الجَعْل إلى الضّمير (نا) في قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا﴾؛ للدّلالة على عظمة الخالق سبحانه[1]، وأنّه لا يعجزُه شيءٌ.

معنى اللّام ودلالتُها في ﴿لِكُلِّ﴾:

لكلّ نبيّ عدوٌّ، اختصاصٌ إلهيٌّ، وشمولٌ مُطلَق

تَرِد اللّامُ في لسان العرب دالّةً على المِلك، وهو الغالب على معانيها، ويَقْرُب منه شِبه المِلك والاختصاص[2]، والواردُ مع لفظة (كلّ) في قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ من هذا النّوع؛ فهي بمعنى الاختصاص والشّمول في الوقت نفسه، فلم يُرسِلِ اللّهُ تعالى نبيًّا واحدًا من غير أن يجعلَ له عدوًّا، فلِجميعِ الأنبياء عدوٌّ منَ المجرمين، يقفون من دعوتهم موقفَ الخِلاف والعِداء، وهذا الاختصاص الرّبّانيُّ هو لابتلاء إيمانه، واختبارِ صبرِه وثباتِه على طريق الحقّ، وليَميزَ الخبيثَ منَ الطّيّب[3].

فائدةُ التّوكيدِ بـ(كلّ):

كثرةُ الأنبياءِ الذين جَعَلَ اللّهُ لهم أعداءً؛ تمحيصًا لهم واختبارًا لصبرهم وثَباتِهم

معنى الكلّية في قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ الكثرةُ[4]، في إشارة إلى كثرة الأنبياءِ الذين جَعَلَ اللّهُ تعالى لهم أعداءً؛ تمحيصًا لهم واختبارًا لصبرهم وثَباتِهم على الحقّ، ممّا يُعزّزُ منزلتَهم عند اللّه تعالى، ويُضاعفُ أجرَهم، ويحتمل لفظُ (كلّ) أن يكون دالًّا على الشّمول والإطلاق؛ فيدخلُ فيه جميعُ الأنبياء قاطبةً دونَ استثناء، بما في ذلك آدمُ عليه السلام، فقدِ ابتُلِيَ بعداوة إبليس – لعنَهُ اللّهُ –، فكان سببًا لخروجه من دار النّعيم إلى دار الشّقاء[5].

غرضُ تقديمِ شبه الجملة ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ على المفعول به ﴿عَدُوًّا﴾:

قُدِّم شِبهُ الجملة على المفعول به في قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 377.
(2) ابن القيّم، إرشاد السّالك: 1/ 448.
(3) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 10/ 16.
(4) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 7/ 331.
(5) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 14/ 84.

عَدُوًّا﴾؛ لتأكيد أهمّيَّة النّبوّة، وإبرازِ عَظَمةِ اللّه تعالى، والإشارةِ إلى أنّ العداوة هي نتيجةٌ للنّبوّة.

دلالةُ العدولِ عنِ التّعبير بلفظ (الرّسول) إلى ﴿نَبِيٍّ﴾:

عدلَ النّظمُ الجليل في قوله: ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ عن لفظ الرّسول إلى لفظ النّبيّ لإرادة الشّمول؛ لأنّ النّبيَّ أعمُّ من لفظ الرَّسول، فهو كلّ مَن أَوْحَى اللّهُ إليه، ولا يكون رسولًا حتّى يرسلَه اللّه إلى النّاس مع النّبوّة، فكلّ رسولٍ نبيٌّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولًا[1].

النُّبـوَّةُ أعـمُّ مـنَ الـرّسـالـة، والتّعبيرُ بالنّبيّ لإرادة الشّمول

الغرضُ من تنكير ﴿نَبِيٍّ﴾:

أَوردَ النّظمُ الجليل لفظَ النّبيِّ بالتّنكير، في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾؛ لدلالتِه على العموم والشّمول، ففي هذا التّعبير تأكيدٌ على ابتلاء اللّهِ تعالى للأنبياء جميعًا، بأعداءٍ يختبر بهم صبرَهم وإيمانَهم، ثمّ إنّه تعالى لم يغادِر أحدًا من أعدائهم دونَ عقابٍ عادل على كفرهم وغيّهم[2].

عـداوةُ الأنبياء سـنّـةٌ إلـهـيّـةٌ لـكل الأنبياء؛ لاختبار صبرهم وإيمانهم

الغرضُ من تنكير ﴿عَدُوًّا﴾:

أوردَ النّظمُ الجليل لفظَ العدوّ بالتّنكير في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾؛ لدلالتِه على التّعظيم؛ فإنّ عدوَّ النّبيِّ ﷺ كان عظيمًا في شَرّه وعداوتِه، وهم كبارُ المشركين، كأبي لهبٍ، وأبي جهل، مع لجاجتِهما في العداوة والإحَن، على قربِ صلتِهم نسبًا بالنّبيّ ﷺ[3].

أشـدُّ أعـداءِ النّبيِّ ﷺ هم كـبـارُ المشركين وزعماؤهم

نُكْتَةُ إفرادِ لفظ ﴿عَدُوًّا﴾:

أُفرِدَ لفظُ العدوّ في قوله: ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾، مع أنّ أعداء الأنبياء كثيرون، وليسوا عدوًّا واحدًا، والقرآنُ الكريم يستعمل لفظ (عدوّ) إذا كانت العداوةُ مفردةً، أو لسببٍ واحد، فيما يستعمل لفظ (أعداء) إذا كانت هناك عداواتٌ مختلِفة ولأسباب مختلفة، مثل

العَداوةُ للأنبياء منشؤها عـداوةُ الدّين

(1) ابن جزيّ، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 1/ 482.
(2) القشيريّ، لطائف الإشارات: 2/ 634.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5274.

الدّين والأرض والمال[1]، ولمّا كانت العداوةُ للأنبياءِ منشؤها عداوةُ الدّين لا المصالحُ الدّنيويّةُ المُتعدّدة؛ عبّر بلفظ (العدوّ) مفردًا لاتحاد قصد الأعداء وطرائقهم.

معنى ﴿مِّنَ﴾ ودلالتُها في قوله: ﴿مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾:

أعداءُ الأنبياءِ مجرمون مُنضوون في زُمرة المجرمين

في قوله تعالى: ﴿عَدُوًّا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ يجوز أن تكون ﴿مِّنَ﴾ صِلةً، والمعنى: جعلنا لكلّ نبيٍّ المُجرمين أعداءً[2]، ويجوز أن تكون ﴿مِّنَ﴾ مُبيّنةً للجنس، أي: من جملة المُجرمين، فإنّ الإجرام أعمُّ من عداوة الأنبياء وهو أعظمُها، وإنّما أُريدَ هنا تحقيقُ انضواءِ أعداءِ الأنبياء في زمرة المجرمين؛ لأنّ ذلك أبلغُ في الوصف من أن يُقال: عدوًّا مجرمين[3]؛ فإنّ الحقّ سبحانه "بيَّن أنّ أعداء الأنبياء هم المجرمون، وهم شياطين الإنس والجنّ"[4]، ويجوز أن تكون ﴿مِّنَ﴾ دالّةً على ابتداء الغاية وهو الأكثرُ فيها[5]، أي: أنّ أعداءَ النّبيّ ﷺ ينتمون إلى فئةِ المجرمينَ دون غيرهم[6]، وإنّما جعلَ اللّهُ تعالى هؤلاء الاعداء منَ المجرمينَ؛ لأنّهم أشدُّ النّاسِ عداوةً للأنبياءِ، يرفضونَ الحقّ ويُحاربونَهُ، ويفسدونَ في الأرضِ ويُضِلّونَ النّاسَ.

معنى (أل) ودلالتُها في ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾:

الهاجِرون للقرآن الكريم داخلون في زمرة المجرمين

(أل) في قوله: ﴿مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ مؤذِنةٌ بالعهد، فإنّ هِجرانَ القرآنِ الكريم، وصَدَّ النّاسِ عنه، مِن أشدّ الجرائم، ممّا يجعل صفةَ ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ تنطبق على فاعلي هذا الفعل، ويُمَثّل هذا الوصفُ تخويفًا عظيمًا، ووعيدًا شديدًا، لكلّ من يهجرُ القرآن الكريم، بأيّ وجهٍ من وجوه الهِجران[7].

(1) محمد الهلاليّ، تفسير القرآن الزّريّ: 19/ 11.
(2) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 8/ 23.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 18.
(4) الشّنقيطيّ، العذب النّمير: 2/ 138.
(5) ابن هشام، مغني اللّبيب، ص: 419.
(6) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 2574.
(7) ابن باديس، مجالس التّذكير، ص: 253.

الغرضُ منَ الإظهار بعدَ الإضمار:

تذكيرٌ بقُبح الإجرامِ وعذابِه وعاقبتِه

قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ إظهارٌ في مقام الإضمار، والتّقدير: (جعلنا لكلّ نبيّ عدوًّا منهم)، لكنّ الحقّ ﷻ أراد أن يُظهر صفةَ الإجرام لأعداء الأنبياء، ممّا يُكمِل قُبْحَ صفاتِهم، ويُؤكِّد خيبتَهم وخسارتَهم في الدّنيا والآخرة.

معنى الواو ودلالتُها في ﴿وَكَفَىٰ﴾:

وعدٌ إلهيٌّ بالهداية والنّصر للأنبياء والمُرسلين، بعد معاناةِ مشقّةِ عداوة المجرمين

الواو في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ عاطفةٌ[1]، فبعدَ أن بيّن تعالى عداوةَ المُجرمين للأنبياء والمُرسلين، سرَّى عنهم بأن يكفيَهم مشقّةَ عداوةِ المجرمين، من خلال هدايةِ خَلْقِه لدعوتهم، ونَصْرِهم على مَن عاداهم؛ فهو الذي خَلَقَهم، وهو أعلم بهم، وأقدرُ على هدايتهم، وهو الذي أرسل الأنبياء، وهو أقدرُ على نَصْرهم.

معنى الباء ودلالتُها في ﴿بِرَبِّكَ﴾:

تأكيدٌ على كفاية اللّه تعالى لرسوله

الباءُ الدّاخلة على لفظِ الرّبّ المُضاف إلى ضميره ﷺ، في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ تأكيدٌ لاتِّصال الفاعل بالفعل، وأصلُه: (كفى ربُّكَ في هذه الحالة)، والمعنى: أنّ اللّه تعالى كافٍ لك في الهداية والنّصر[2].

دلالةُ التّعبيرِ بلفظ الرّبوبيّة وإضافتِها إلى الضّمير العائد للنّبيّ:

وعدٌ إلهيّ بالهداية والنّصر مِن حافظِك ومربّيكَ والقائمِ على شؤونك

التّعبيرُ بلفظ الرّبوبيّة، وإضافتُها إلى ضميره ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾، يدلُّ على وعدٍ كريمٍ للنّبيّ ﷺ بالهداية والنّصر، ممّن يكلؤُه ويحفظُه ويُربّيه، ويقومُ على أمره وشأنه[3]، فهو المُحسن إلى عباده، المُتفضّلُ عليهم؛ وهذه هي صفة الرَّبِّ، كما أنّ في إضافته إلى ضميره تشريفًا له، وتفخيمًا لشأنه.

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 10.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 18.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5274.

نُكْتَةُ تقديمِ ﴿هَادِيًا﴾ على ﴿وَنَصِيرًا﴾:

هاديًا في مواجهة صـدِّ المشركين لـلـنّـاس عـنِ القرآن

قدّم النّظمُ الجليل صفةَ الهداية على صفة النّصر في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾؛ لأنّ الهداية أهمُّ منَ النّصر؛ فإنّها تُؤَسِّس للقاعدة التي يُبْنَى عليها النّصر، والمرادُ "أنّ الله تعالى سيهديك إلى الطّريق الذي بمقتضاه تنتصرُ على هؤلاء جميعًا"[1]، فالهداية تُنير دروبَ المؤمنين، وتُرشدُهم إلى الصّراط المستقيم، أمّا النّصر فهو النّتيجةُ الطّبيعيّة لسيرهم على هذا الصّراط، وفي هذا التّقديم ترتيبٌ منطقيٌّ؛ لأنّ الهداية تأتي قبل النّصر منَ النّاحية المنطقيّة؛ ولأنّ الإنسان لا يمكن أن ينتصر إلّا بعد أن يهتديَ إلى الطّريق الصّحيح، فيُشيرُ تقديم (الهادي) إلى أنّ الحقّ ﷻ يُرسل رسلَه وينزلُ كتبَه لهداية النّاس، قبل أن يُرسلهم لقتال الكافرين.

نُكْتَةُ التّعبير بصيغة النّصير في ﴿وَنَصِيرًا﴾:

وعدُ الله تعالى بـنُـصْـرة نبيّه مبالغةٌ تؤكّدُ عَظَمةَ النّصر

التّعبير بلفظ النّصير في الآية من باب المبالغة؛ ذلك أنّ النّصير على زنة (فَعيل)، وهي صيغة من صيَغ المبالغة لاسم الفاعل (ناصر)[2]؛ للإيذان بنصر الله تعالى لنبيّه الكريم ﷺ، وفيه توكيدُ عَظَمةِ النّصر الذي وعدَه تعالى إيّاه، فالنّصيرُ هو المساعِدُ والمُؤيّد، ولفظُ نصير يدلّ على المبالغة في الصّفة، وذلك بأنّه سبحانه سيكون ناصرًا له على أبلغ وجهٍ، وأقوى صورة[3]، وفي هذه المبالغةِ في النّصرة تثبيتٌ للنّبيّ وتقويةٌ لإيمانه، وإيمانِ المؤمنين، وزيادةُ صبرِهم وثباتِهم، وفيه دعوةٌ إلى الصّبر على أذى المجرمين؛ لأنّ الصّبر من صفات المؤمنين، وهو موصِلٌ إلى النّصر في النّهاية؛ ولأنّه يُثبّت إيمانَ المؤمن، ويُظهرُ صِدقَه[4].

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 17/ 10433.
(2) سيبويه، الكتاب: 1/ 110.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 15.
(4) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 10/ 16.

فائدةُ التّذييل بهَذَين الاسمَين:

الهدايةُ والنّصرُ تـوأمـا النّـجاحِ في مـواجـهـة المشركين

قَرَن اللّهُ تعالى بينَ الهداية والنّصر في قوله: ﴿هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾؛ لأنّ الهداية هي السّبيل لتّحقيق نصرِ المؤمنين على الكافرين، ولتقويّةِ إيمانِهم، وتثبيتِهم على موقفهم، وتوحيدِ صفوفِهم، فقد كان المشركون يصدّون النّاسَ عنِ اتّباع القرآن؛ لتهديده لسلطتِهم ومصالحِهم، ولمخالفتِه معتقداتِهم، ولخوفِهم من هداية النّاس إلى الحقّ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النّبيُّ والرّسولُ:

النّبوّةُ أعـمُّ منَ الرّسـالـة، فكلّ رسـول نـبـيٌّ، ولكن ليس كلُّ نبيٍّ رسولًا

النّبيّ: هو إنسان اصطفاه الحقُّ سبحانه لتبليغ رسالته، سواء كانت رسالةً جديدة، أو تأكيدًا لرسالة سابقة، ولا يمكن أن يكون النّبيُّ نبيًّا دون أن يُظْهِر معجزة تُثبت نبوّتَه، والنّبوّة تُضاف في الغالب إلى النّبيّ، فنقول: نبوّةُ النّبيّ، وهي أعمّ منَ الرّسالة.

وأمّا الرّسول: فهو نبيٌّ أرسله اللّهُ تعالى لتبليغ رسالةٍ جديدة لم تُرسل من قبلُ، والرّسالة أخصّ منَ النّبوّة، فكلّ رسول نبيٌّ، ولكن ليس كلّ نبيٍّ رسولًا، وقد يكون الرسولُ رسولًا دون أن يُظْهِر معجزةً، والرّسالةُ تضاف إلى اللّه تعالى؛ لأنّه هو المُرسِل[1].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 530 - 531.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والثلاثون،
سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 37 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 37 : المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-79-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8644972 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»